

# الصَّاحِي

فِي فَقْهِ اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا  
وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا

تأليف  
الإمام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا  
من لغويي القرن الرابع الهجري

علّق عليه ووضح مؤلفه  
أحمد حسن بسج

منشورات  
محرر إلى بيضون  
دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

## باب القول على لغة العرب أتوقيف، أم اصطلاح

أقول: إن لغة العرب توقيف. ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(١)</sup> فكان ابن عباس يقول: علّمه الأسماء كلّها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من: دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خُصَيْفٌ عن مُجَاهِدٍ قال: علّمه اسم كلّ شيء.  
وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة.  
وقال آخرون: علّمه أسماء ذريته أجمعين.

والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس. فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: «ثم عرضهن أو عرضها» فلما قال: «عرضهم» علّم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لما يَعْقِلُ «عرضهم» ولما لا يعقل «عرضها أو عرضهن» قيل له: إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سُنّة من سُنن العرب، أعني «باب التغليب»، وذلك كقوله جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾<sup>(٢)</sup> فقال: ﴿مِنْهُمْ﴾ تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم.

فإن قال: أفَتَقُولُونَ في قولنا: سيف، وحسام، وعَضْبٌ<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتّى لا يكون شيء منه مُصْطَلِحاً عليه؟ قيل له: كذلك نقول

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٣) العضب: السيف القاطع.

## باب القول على الخط العربي وأول من كتب به

يُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسَّريانيَّ والكُتُب كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه. فلما أصاب الأرض الغرقُ وجد كلُّ قومٍ كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيلُ عليه السلام الكتابَ العربيَّ.

وكان ابنُ عباسٍ يقول: «أولُ من وضع الكتابَ العربيَّ إسماعيلُ عليه السلام، وضعه على لفظه ومنطقه».

والرواياتُ في هذا الباب تكثر وتختلف.

والذي نقوله فيه: إن الخطَّ توقيف، وذلك لِظاهرِ قوله عز وجل: ﴿اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ، اقرأ وربُّكَ الأَكْرَمُ الذي عَلَّمَ بالقلم، عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال جلَّ ثناؤه: ﴿والقلم وما يسطرون﴾<sup>(٢)</sup> وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقَّفَ آدم عليه السلام أن غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب.

فأما أن يكون مُخْتَرَع اختَرعه من تلقاء نفسه، فشيءٌ لا تُعْلَمُ صحته إلَّا من خبر صحيح.

وزعم قوم أن العربَ العاربةَ<sup>(٣)</sup> لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً، ولا إعراباً، ولا رفعاً، ولا نصباً، ولا همزاً. قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتهمز إسرائيل؟ فقال: «إني إذن لَرَجُلٌ سوء!» قالوا: وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلَّا الضغط والعصر. وقيل لآخر: أتجرُّ فلسطين؟ فقال: «إني إذن لقويٌّ!». قالوا: وسُمع بعض فصحاء العرب يُنشد:

نحن بني عَلمة الأخيارا

(١) سورة العلق، الآية: ١ - ٥.

(٢) سورة القلم، الآية: ١.

(٣) العرب العاربة: العرب الصرحاء.

ف قيل له : لم نصبت « بني » ؟ فقال : ما نصبته ، وذلك أنه لم يعرف من النَّصَب إلا إسناد الشيء . قالوا : وحكى الأخفش <sup>(١)</sup> عن أعرابي فصيح أنه سُئِلَ أن يُنشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكي أن أبا حية الثُميري <sup>(٢)</sup> سُئِلَ أن يُنشد قصيدة على الكاف فقال <sup>(٣)</sup> :

كفى بالتَّاي من أسماء كافٍ      وليس لِسُقْمِها إذ طالَ شافٍ

قلنا : والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء . ومذهبنا فيه التوقيف فنقول : إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي أعلمَ الله جلَّ ثناؤه أنه علَّمها آدمَ عليه السلام ، وقد قال جل وعزَّ : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فهل يكون أوَّلُ البيان إلا علم الحروف التي يقع بها البيان ؟ ولم لا يكون الذي علَّم آدمَ عليه السلام الأسماء كلها هو الذي علَّمه الألفَ والباءَ والجيمَ والدالَ ؟ فأما من حُكي عنه من الأعراب ، الذين لم يعرفوا الهمز والجَرَ ، والكاف والدال ، فإنَّنا لم نزعِمْ أنَّ العرب كلها مدرّاً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها ، والحروف أجمعها ، وما العربُ في قديم الزمان إلا كنحن اليوم : فما كلَّ يعرفُ الكتابة والخطَّ والقراءة <sup>(٥)</sup> وأبو حية كان أمس ؛ وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخطَّ ويقرأ ، وكان في أصحاب رسول الله ﷺ كاتبون منهم أمير المؤمنين عليٌّ صلوات الله تعالى عليه وعثمان وزيد وغيرهم .

فحدثني أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ القَطَّان ، قال : أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال : حدثنا ابن مَهْدِيٍّ ، عن ابن المبارك قال : حدثني أبو وائل شيخُ من أهل اليمن عن هانئ قال : كنت عند عثمان رضي الله تعالى عنه ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكفِ شاة إلى أبيّ بن كعب فيها : « لم يتسنَّ » و « فأمهل الكافرين » و « لا تبديل للخلق » قال فدعا بالدَّواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿ لَخَلَقِ اللهُ ﴾ <sup>(٥)</sup>

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، النحوي الأديب ، البلخي البصري ، مات سنة ٢١٥ .

(٢) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نمير بن عامر ، من شعراء البصرة ، مات سنة ١٨٣ هـ .

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم ، وهو شاعر جاهلي ، انظر ديوانه : ١٠٣ ، وفيه : وليس لحبها .

(٤) سورة الرحمن : آية ٤ .

(٥) سورة الروم ، الآية : ٣٠ ، وتماها : ﴿ فطرهُ اللهُ التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ .

## باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن

وأنه ليس في كتاب الله جلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب

حدّثنا أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القطّان قال: حدّثنا عليّ بن عبدالعزيز عن أبي عبيد عن شيخ له أنه سمع الكلبيّ يحدث عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال بسبع لغات، منها خمسٌ بلغة العَجَز من هَوازن وهم الذين يقال لهم عليا هَوازن وهي خمس قبائل أو أربع، منها سعدُ بن بكر، وجُشمُ بن بكر، ونَصْر بن مُعاوية، وثقيف.

قال أبو عبيد: وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله ﷺ: «أنا أفصح العرب ميّد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر»<sup>(١)</sup> وكان مُسترضعاً فيهم، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هَوازن وسُفلى تميم.

وعن عبدالله بن مسعود أنه كان يَسْتَحِبُّ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مُضَر.

وقال عمر: لا يُمْلِئَنَّ في مَصَاحِفِنَا إِلَّا غُلَمَان قريش وثقيف.

وقال عثمان: اجعلوا المُمْلِي من هُذَيْل والكاتب من ثقيف.

قال أبو عبيد: فهذا ما جاء في لغات مُضَر وقد جاءت لغات لأهل اليَمَن في القرآن معروفة. منها قوله جلّ ثناؤه: «مُتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ»<sup>(٢)</sup> فحدّثنا أبو الحسن علي بن علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد، قال: حدّثنا هُشَيْم أخبرنا منصور عن الحسن قال: «كُنَّا» يقال إنها بالحِمْشِيَّة. وقوله «هَيْتَ لَكَ» يقال إنها بالْحَوْرَانِيَّة. قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء.

قال: وزعم أهل العَرَبِيَّة أن القرآن ليس فيه من كلام العَجَم شيء وأنه كلّ

(١) غريب الحديث: ٩٦/١، والنهاية في غريب الحديث: ١٧١/١. وميد: بمعنى غير وهي لغة في يَد.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣١.